

العبي، فقال له: هل أنت عنتر؟ أشجع أهل زمانك؟ فهل بإمكانك أن تعلمني الرجولة والشجاعة؟

فقال عنتر: ضع إصبعك في فمي، وسأضع إصبعي في فمك، وليعض كل واحد منا إصبع الآخر، في وقت واحد. وهكذا. فصرخ الحكيم: أخ. فقال عنتر: لو لم تقل أخ لقلتها أنا... هذه هي الرجولة والشجاعة وهي أن تصبر قليلاً حتى ينفذ صبر عدوك، ثم قال للحكيم: فهل بإمكانك أن تعلمني الحكمة، فقال الحكيم: ضع إصبعك في فمي، فمد إصبعه حالاً ووضعها بدون تحفظ في فم الحكيم، الذي عضها بسرعة فصرخ عنتر: أخ، فقال الحكيم: لو فكرت قليلاً قبل أن تضع أصبعك في فمي لأدركت أنني ربما سأعضها وأسبب لك الألم، ولأحجمت عندئذٍ عن وضعها في فمي، هذه هي الحكمة: أن تنظر في عواقب الأمور قبل وقوعها<sup>(1)</sup>.

□ □

### كيف نصنع من الخسارة ربحاً؟

قد يتعجب القارئ من هذا السؤال ومن هذه الخليفة لأول وهلة أو أول نظرة، لكننا نظمته ونقول له: ارجع بصرك كرة أخرى ينقلب إليك البصر ويزيل منك التعجب من أن ترجع الخسارة ربحاً وكسباً، وأن يرجع النصر خسارة. إن باستطاعة الإنسان كفرد أو أمة أن يكسب المعركة التي

(1) مجلة التربية الإسلامية، الممدان (11، 12) السنة (26) 1405 هـ 1985 م،  
نقلاً عن جريدة الداعي الهندسية.

انهزم فيها، وأن يرجع وباله على عدوه، بعد أن عاش الهزيمة ونال وبالها. ولكن يحصل ذلك إذا لم يستسلم إلى الخسارة والهزيمة وإنما ترفع عنها وصنع منها نصراً وسودداً «إننا نواجه في الحياة معارك نخسر بعضها، ونربح الأخرى، إلا أنه لدى التدقيق نكتشف أن ليس هناك معركة في حياة الإنسان كفرد أو أمة يخسرها خسارة كاملة، إلا إن يحولها إلى ذلك، كالانتصار قد يولد في نفسك الغرور فيتهي بعشرات الهزائم».

الانتصار قد يكون خسارة وهزيمة، إن لم يتطع الإنسان الارتفاع إلى مستواه، والهزيمة قد تولد في نفسك الجدية والفاعلية والتنظيم فتستطيع أن تكسب بذلك ألف معركة ومعركة...

إذاً: فأنت الذي تقرر إن كانت معركتك ربحاً أو خسارة، وليست الحياة أو الظروف.

والتأريخ الإنساني والإسلامي تزخر صفحاته بنماذج ومشاهد تعكس هذه الحال، فلتراجع ولتصفح لتجلو لك صدق ما ذهبنا إليه.



### اختيار الكلام

قال ابن عبد ربه: واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا: اختيار الرجل وإفدُّ عقله، وقد قال الشاعر:

قد عرفناك باختيار إذ كا

ن دليلاً على السبب اختياره

وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف أعلامهم،

وظاهرة في حُسن اختيارهم.

□□

### نصيحة ثمينة

احفظ هذه الكلمات: فيهن صلاح الملك واستقامة الرعية:

- 1 - لا تَعِدَنَّ عِدَّةَ لا تثق من نفسك بإنجازها.
- 2 - ولا يغرِّبَنَّكَ المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً.
- 3 - واعلم أن للأعمال جزاءً فاتَّقِ العواقب.
- 4 - واعلم أن الأمور بغتات فكن على حذر<sup>(1)</sup>.

□□

### حفظ الأسرار

قالت الحكماء: ما كنتَ كاتبَهُ من عدوك فلا تُطلع عليه صديقك.

□□

### الفردوس المفقود

#### كيف فقدت غرناطة:

سقطت هذه المدينة على يد طاغيين كاثوليكين: فردناند ملك أراغون، وإيزابيلا ملكة قشتالة في 897هـ. 1492م. وبسقوط هذه المدينة انتهى حكم الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس). يروي لنا المؤرخون بهذه المناسبة قصة

(1) العقد الفريد (1/57).

مؤثرة، ذلك أن أحد ملوك غرناطة محمد الحادي عشر الملقب (أبو عبد الله الصغير) حين رحل عن غرناطة وولّى مديراً من العدو إلى فاس بالمغرب، وكانت معه أمه عائشة، توقف عند مرتفع يشرف على مدينة غرناطة اسمه (تل البذول) نظر بحسرة باكية إلى غرناطة الجميلة، وأجهش بالبكاء وصاح: الله أكبر، فقالت له أمه قولة اضطرب بها الصوت ووقعت في نفس الأمير الباذخ وقع الحسام المهند:

نعم ابك مثل النساء على ملكٍ لم تحافظ عليه مثل الرجال<sup>(1)</sup>  
 ورحم الله أبا إسحاق إبراهيم بن خفاجة حين قال يرثي  
 بلنية:

عانت بساحضك الظبي يا دارُ  
 ومحا محاسنك اليسى والنارُ  
 فإذا تردد في جنابك ناظر  
 طال اعتبار فيك واستمبار  
 أرض نقاذفت النوى بقطبينها  
 وتمخضت بخرابها الأقدار  
 كسبت يد الحدثان في عرصاتها  
 لا أنت أنت ولا الديار ديار<sup>(2)</sup>

(1) أندلسيات، د. عبد الرحمن علي الحجي، ص: 18، ط1، دار الرشد، بيروت، 1969م.

(2) رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، د. حسين مؤنس، ط 1، 1963م، الشركة المصرية - القاهرة.

وأشدد أبو البقا الرندي، شاعر رثاء أندلس هذه المرثية القيمة التي تعدو وثيقة هامة لما آلت إليها شأن هذه الحضارة الباسقة من التضعف وتخبط ملوكها من البذخ والفساد والميوعة وانحراف في الحكم والخلق، مما مهدت إلى الوقوع فريسة سهلة إلى أيدي الصليبية العالمية، وهو يدعو هنا والبكاء ملاً جفونه إلى الجهاد الذي فقد، ويرثي ما ضاع من بلاد الأندلس.

□ □

### من أحكام القضاة

لكل شيء إذا ما تم نقصان  
فلا يُفترّ بطيب العيش إنسان  
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ  
من سرّه زمنٌ ساءتْه أزمان  
وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ  
ولا يدومُ على حالٍ لها شأنٌ  
يُمزّق الدهر حتماً كل سابغة  
إذا نهتْ مُشرفياً وخرصان<sup>(1)</sup>  
وينتضي كل سيف للفناء ولو  
كان ابن ذي يزن والغمدُ غمدان<sup>(2)</sup>

(1) السابغة: الدرع الكاملة، المشرفيات: السيوف: نسبة إلى مشارف الشام،  
والخرصان: جمع خرص: الرمح.  
(2) سيف ذي يزن: من ملوك اليمن - غمدان: قصر كان له .

أبن الملوک ذوو التیجان من یمن  
 وأبن منهم اکالیل وتیجان  
 وأبن ما شادّه شداد نسی إرم  
 وأبن ما ساسه فی الفرس ساسان<sup>(1)</sup>  
 وأبن ما حازه قارون من ذهب  
 وأبن عادّ وشداد وقحططان  
 أتى علی الكلّ أمر لا مرّة له  
 حتی قضا فکان القوم ما كانوا  
 وصار ما کان من ملک ومن ملک  
 كما حکى عن خیال الطیف وسانان  
 دار الزمان علی دارا وقائله  
 وأمّ کسرى فما آواه لیوان  
 كأنما الصعب لم یهّل له سبب  
 يوماً ولا ملک الدنيا سليمان  
 فجائع الدهر أنواع منوعة  
 وللزمان مسرّات وأحزان  
 وللحوادث سلوان یهوّنها  
 وما لما حلّ بالإسلام سلوان

(1) قيل في إرم أنها دمشق والإسكندرية، وسانان: أبو طائفة عظيمة من ملوك الفرس.

دهمى الجزيرة أمر لا عزاء له  
 هوى له أحدٌ وانهدَّ ثهلان<sup>(1)</sup>  
 أصابها العيين في الإسلام فارتزات  
 حتى خلت منه أقطار وبلدان  
 فاسأل بالنسية ما شأن مُرربة  
 وأين شاطبة أم أين جيّان  
 وأين قرطبة دار المعلوم فكم  
 من عالم قد سما فيها له شان  
 وأين حمصٌ وما نحوه من نزه  
 ونهرها المذب فيّاض وملان  
 فواعد كنّ أركان البلاد فما  
 هوى البقاء إذا لم نبق أركان  
 تبكي الحنيفية البيضاء من أسف  
 كما بكى لفراق الإلف هيمان  
 على ديار من الإسلام خالبة  
 قد أسلمت ولها بالكفر عمران  
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما  
 فيهنّ إلا نواقيس وصلبان

(1) الجزيرة: جزيرة أندلس، وThelan : جبل باليمن.

حتى المحارِب تبكي وهي جامدة  
 حتى المناير ترثي وهي عِيدان  
 يا غانلاً وله في الدهر موعظة  
 إن كنت في سِنَّةِ فالدهر يقظان  
 وماثياً مرحاً يُلهيه مواطنه  
 أبعد حمص نفرُ المنرة أوطان  
 تلك المصيبة أنست ما تقدّمها  
 وما لها من طول الدهر نسيانُ  
 يا أيها الملك البيضاء راينته  
 أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا  
 اعندكم نبأ من أهل أندلس  
 فقد سرى بحديث القوم ركبان  
 كم يحتفيث بنو المستضعفين وهم  
 أسرى وقتلى فما يهتز إنسان  
 ماذا التقاطع في الإسلام بينكم  
 وأنتم يا عبياد الله إخوان  
 يا من لَلِئْلَةُ قوم بعمد عزهم  
 أحال حالهم كفر وطفيان  
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم  
 واليوم هم في بلاد الكفر عُبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم  
 عليهم من ثياب الذل ألوان  
 ولو رأيت بكاءهم عند بيهم  
 لهالك الأمر واستهوتك أحزان  
 يا رَبِّ أم وطفلٍ حبل بينما  
 كما تفرق أرواح وأبدان  
 وطفلة ما رأتها الشمس إذ برزت  
 كأنما هي ياقوت ومرجان<sup>(1)</sup>  
 يقودها الملح للمكروه مكرهه  
 واليمين بأكبة والقلب حبران<sup>(2)</sup>  
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد  
 إن كان في القلب إسلام وإيمان<sup>(3)</sup>

### الشعبي في الفصل بين رجل وامرأة

دخل عليه رجل ومعه امرأة من أجمل النساء فاختصما  
 إليه، فأدلت المرأة بحجتها وقربت بيتها. فقال للزوج: هل  
 عندك من مدفع؟ فأنشأ يقول:  
 فنن الشعبي لما رفع الطرف إليها

(1) الطفلة: الرخصة الناعمة.

(2) العليج: الرجل الضخم من أهل المعجم.

(3) أبو البقاء الرندي: حياته وشعره، د. محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة،

ط 1، 1396 هـ. 1976 م بيروت.

فتننته بدلال ويخطني حاجبها  
قال للجلاوز قربها واحضر شاهديها  
ففضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها  
قال الشعبي: دخلت على عبد الملك فأنشد (فُتن الشعبي)  
ثم قال: ما فعلت بقائل هذا الأبيات؟ قلت: أوجعته ضرباً بما  
انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افتري عليّ.

□□

### عُقبى الانفراد بالرأي

من خواطر أمير الشعراء أحمد شوقي رحمته الله تعالى: «من  
استقل بنفسه استوحش، ومن استقل برأسه ضل، الرأي مسير  
إن قعدت عنه تغير، هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد، شورى  
من الحجاج وزياد خير من الفرد ولو كان عمراً، جثني بالنمر  
العاقل أجثك بالمستبد العادل»<sup>(1)</sup>.

نظراً لقيمة هذه الخواطر من الناحية الفكرية والسياسية  
والاجتماعية الإسلامية. فقد عرضتها على الأستاذ عمر بن عبد  
الغفور الألمي لكي يبين غموضها، ويفك عُسرها، فقد علق  
عليها وأثارها بفكره الثاقب ما تشكل من معانيها السامية:

(الرأي مسير إن قعدت عنه تغير) ما يظهر للإنسان من  
حكمة واهتداء وبصيرة، فهو شوط يقطعه العاقل في طريق تفهم  
الحقيقة، فإذا قعد عن هذا المسلك وأنهى جهوده الفكرية تغير

(1) وسائل تقدم المسلمين، أحمد الشرباصي، ص: 54، مصر.

رأيه، وانتقل من غير اعتداء إلى ما هو وبال ووخامةً وسوء مرجع. فيختلط عليه الأمر ويلتبس عليه الفكر ولا يدري من أين بدأ وإلى أين ينتهي مسيره.

(هلكت أمة تحيا بفرد، وتموت بفرد): ماتت أمة، وانتهى أمرها وأصبحت في خبر كان، وذهب ريحها وحلَّ بها البلاء من كل صوب وحذب، وجاءها المكروه من حيث لا تدري، ووقعت في شرك الردى، هذه الأمة الهالكة التي نزل بها البلاء، هي تلك الأمة التي تعيش وتعتمد في حياتها، وتبني اقتصادها وسيادتها وكرامتها واستمرار قوتها على دهاء وعقل وتعب فرد واحد يعيش خادماً لأمته يحمي عنهم، ويدافع عن مجدهم، ثم يموت بعد حين فلا تجد الأمة خليفة لهذا الفرد القائد، فتبقى الأمة بلا سانس وقائد يسوسها ويقودها، ويأخذ بيدها إلى مدارج العلى ومروقة الفضل ومنبر الكرامة، فتتهافت وتنحلُّ قواها وتُمزَّق الفتن أضلاعها وتسقطها المشاكل والأزمات، وتطحنها الكروب بالويلات، فتموت وتهلك، وتنتهى حال موت قائدها. وأيضاً فإن هذه الأمة التي مر شأنها، تنتهي وينقضي عزها إذا كان فيها مؤذٍ واحد يمشي بين أفرادها بالنيمة والسعاية، ويُعملُ فيهم القتل والبطش ويسلب كرامتهم، وإنما يعمل ذلك لأنهم سلموه مقاليد الحكم ومفاتيح دولتهم وكانوا قادرين على أن يمنعوا من الاقتراب من إمكاناتهم، ومس طاقاتهم وممتلكاتهم، وأموالهم والعبث بمقدراتهم فهلكت لسكوتها وخذلانها وتهاونها بأمرها.

(شورى من الحجاج)، أي أن الإنسان إذا لم يكن له بُدُّ

من استشارة أخيه في أمر يهّمه ويقصّد إمضاءه فإن عليه أن يأخذ بمشورة العاقل، وأنه إذا رأى أن يشير على غيره في أمر يعلم أن فيه صلاح أخيه، وصحة أمر الذي يعلمه فعله أن يستشير بالعاقل وإن كان ظالماً متناهي الظلم بدون الحق ويشير على أخيه المحتاج ولو كان ظالماً لا يستحق المشورة.

فالشورى من الرجل الظالم كالحجاج مثلاً خير من الاستبداد بالرأي الخاوي والعقل الضعيف الذي يحتاج فيه الإنسان إلى قوة وإسناد ليعي ويفهم الحق، فالشورى خير من الانفراد والخوض في الأمر والسعي في العمل بلا اعتماد على عقل عاقل جرّب الأمور وحكته التجارب.

فهذا خير من عمر الإنسان بمعزل عن الشورى من أخيه ولو كان جائراً ضالاً.

(وزياد خير من الفرد ولو كان عمرأ)، مساعدة الإنسان الذي يأتي لأخيه خير وأفضل من بقاء الإنسان بنفسه منفرداً، ويعمل ويجدّ ويحكم دون أن يعاونه من هو قوي الرأي شديد العزيمة مضاء القوة، ولو كان هذا الفرد يعتمد على ذاته في إمضاء حاجاته العامة تقياً عابداً عادلاً كعمر رضي الله عنه، (جئني بالنمر العاقل، أجئك بالمتبذ العادل)، أن الإنسان مهما كان فظناً فإنه عاجز أن يأتي بعقل شرس؛ لأن العقل يمنع الإنسان من الضراوة والشراسة والخبث والفتك بالآخرين، فيمتنع عقلاً أن يكون الإنسان عادلاً معتدلاً يحكم بالحق ويتجنب الشطط وهو في ذات الوقت مستبد ينفرد بعقل ويعرّج على رأيه ويطوي كشح جانب الاستماع إلى نصيحة الغير. فإذا امتنع كون النمر

عاقلاً واعياً خبيراً بمضار الاعتداء، وخبت السطو على الضعفاء، فإن من البدهي أن يكون المستبد الذي يتولى حكم الناس عادلاً يسير على نهج صحيح خالٍ من الشبهات والأباطيل، ودروب الضلال وخلجات الشكوك.

□ □

### من حكم الأحنف

قال السيد عبد الخالق الرحيم الأردبيلي (ت 740هـ) في كتابه غرر المثنائي ودرر المعاني: قال الأحنف بن قيس:

من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لدين غيره أهدم.

وقال: من منعك من الخير حرمك، ومن أعانك على الشر ظلمك.

وقال: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئاً عرف به...

وأضاف في ذيل الأمالي والنوادر:

من مزح استخف به، ومن أكثر في شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه مات قلبه.

□ □

### علام بنيت أمرك في التوكل؟

روي عن حاتم بن علوان رضي الله عنه وهو من علماء خراسان، أن رجلاً سأله: علام بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على أربع

كلمات:

- 1 - علمت بأن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت إليه.
- 2 - علمت بأن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به.
- 3 - علمت بأن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره.
- 4 - علمت أنني لا أخلو من عيني الله حيث كنت، فأنا أستحي منه.

□□

### لولا الرجاء...

لولا الرجاء، لمات المريض في وهمه قبل أن يُميت المرض، ولقُتل الجندي في الحرب من خوفه، قبل أن يقتله عدوه، ولولا الرجاء لما كانت الحياة والأمل مصباح لا يضيء إلا من بعيد، ولو تركت الأمور لاحتتمالات العقل وقوانين المادة، لما استطعت أن تتنفس الهواء، أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبت السيارة لاحتتمال أن تصطدم، ولا صعدت بناءً لإمكان أن ينهدم، ولا اتخذت خليلاً لأنه قد يخون. فالإيمان بالقدر راحة، لأنه إن قَدَّر عليك بمصائب، فاحمد الله تعالى، ففي الناس من أصيب، وإن خسرت ألفاً، ففيهم من خسر ألفين، فهل عرفتم الآن حكمة القدر<sup>(1)</sup>.

□□

(1) صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص: 18.

### وصفة لأمراض القلب

سئل أحد العارفين عن شفاء القلب من الأمراض التي تبعده عن الله، قال: عليك: بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، ضع ذلك في إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية، وأقده بنار الحزن، وصفو بمصفاة المراقبة وأبعد نفسك عن الحرص، والطمع، والغل، والحقد، والحسد، وحب الجاه، تشفى من مرضك بإذن الله تعالى.

### اطلب قلبك في هذه المواطن

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اطلب قلبك في أربعة مواطن:

\* اطلبه عند قراءة القرآن الكريم.

\* واطلبه عند ذكر الله تعالى.

\* واطلبه عند الخلوة.

\* واطلبه في رمضان.

فإن لم تجده في هذه المواطن فاسأل الله تعالى أن يرزقك قلباً، فإنك لا قلب لك.

□□

### عجبت لمن ابتلي كيف يغفل؟

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عجبت لمن ابتلي بخمس كيف يغفل عن خمس:

1 - عجبت لمن ابتلي بالضر، كيف يذهب عنه أن يقول:

﴿أَنِّي مَسَّيَ الْعَصَا وَأَنْتَ أَزْحَمُ الرَّحِيمِ﴾ والله يقول:  
﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ صُرْحٍ﴾<sup>(1)</sup>.

2 - عجبت لمن ابتلي بالغم، كيف يذهب عنه أن يقول:  
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والله  
يقول: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّا لَهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُكَلِّمُ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

3 - عجبت لمن مكر به، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿وَأَفْوِضْ  
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ  
سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾<sup>(3)</sup>.

4 - عجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة، خاف زوالها، كيف  
يذهب عنه أن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ والله  
يقول: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ﴾<sup>(4)</sup>.

5 - عجبت لمن خاف شيئاً، كيف يذهب عنه أن يقول:  
﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ والله يقول: ﴿فَأَنْقَلِبُوا يُنْعَمُونَ  
مِنَ اللَّهِ وَقَضِيَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾<sup>(5)</sup>.

□ □

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 82، 83.

(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 86، 87.

(3) سورة غافر، الآيتان: 44، 45.

(4) سورة الكهف، الآية: 39.

(5) سورة آل عمران، الآيتان: 172، 173.

## أمور تضحك وتبكي

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث:

ضحكت من مؤمل الدنيا، والموت يطلبه.  
وغافل لا يغفل عنه.

وضاحك ملء فمه، لا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ.

وأبكاني: فراق الأحبة ومحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم، وهول المطلع عند الفراق الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين حيث لا أدري إلى النار أم إلى الجنة؟

□ □

## تحديد الوقت

يقول أحد الأدباء: أمران لا يحدد لهما وقت بدقة:

1 - النوم في حياة الفرد.

2 - الانحطاط في حياة الأمة.

فلا يشعر بهما إلا إذا غلبا واستوليا<sup>(1)</sup>.

□ □

(1) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، شكيب أرسلان، ص: 8، مكتبة الحياة - بيروت.

## الدعاء الإيجابي

قال الشاعر المصري محمد مصطفى حمام: وهو يناجي  
ربه بهذه الأدعية:

ربنا اجعلنا أصح الناس ديناً  
واجعل الدنيا لنا خفضاً ولينا  
ربنا واطبع ذرارينا على  
سنة التقوى بناتٍ وبنينا  
وتغمد والدينا بالرضا  
واجعل الغفران عقبى لذيونا  
وازرع الرحمة في أنفسنا  
واكفنا بأس المعتاة الظالمينا  
وإذا أوليتنا يا رب نعماً  
فصنها من عيون الحاسدينا  
وإذا أنزلت ضراء بنا  
فاجزنا عنها جزاء الصابرينا  
وإذا ما انكشف الضر فآلهما  
وفاء الأوفياء الشاكرينا  
رب بصرنني بليسي وأقم  
لي على الجاحد سلطاناً مبيناً

أغنيني يا رب عن عون الورى  
ثم لا تنفن الورى عنى ممبنا  
أعطينى أعط وكن جامى أكن  
جاء من القى من المستضعفينا  
وأطل عمسرى وأوزعنى أن  
أنفع الناس خصيماً وخذينا  
ثم هبئ لى عن اللنبا حيلأ  
لا أقاسى فيه سقبأ وأنبنا<sup>(1)</sup>

□□

### قد صحبتنى فماذا تعلمت

روى عن شقيق البلخى أنه قال لحاتم الأصم: قد صحبتنى مدة<sup>(2)</sup> فماذا تعلمت؟ قال: تعلمت ثمانى مسائل:

- 1 - نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوباً، فهو معه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبى، فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى.
- 2 - ونظرت فى قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ<sup>(3)</sup>. فأجهدت

(1) وسائل تقدم المسلمين، أحمد الشرباصى، ص: 54، مصر.

(2) إنه صحبه مدة ثلاث وثلاثين سنة.

(3) سورة النازعات، الآيتان: 40، 41.

- نفسى في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .
- 3 - إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(1)</sup>، فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً .
- 4 - إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾<sup>(2)</sup>، فعملت بالتقوى حتى أكون عنده كريماً .
- 5 - إني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿عَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(3)</sup>، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله ﷻ فتركت عداوة الخلق عني .
- 6 - نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(4)</sup>، فعاديته وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت

(1) سورة النحل، الآية: 96.

(2) سورة الحجرات، الآية: 13.

(3) سورة الزخرف، الآية: 32.

(4) سورة فاطر، الآية: 6.

عداوة الخلق غيره.

7 - نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكبرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(1)</sup>، فعلمت أنني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده.

8 - نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق. هذا على ضيعة وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه - وكل مخلوق متوكل على مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(2)</sup>، فتوكلت على الله ﷻ فهو حسبي.

قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى، فإنني نظرت في علوم الثوراة والإنجيل والزيور والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثماني مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة<sup>(3)</sup>.

□ □

### دعوة إلى مد الحياة

\* إن الروح لتزداد غنى «بالنظر» الدائم الذي يدعو إليه كتاب الله.

(1) سورة هود: الآية: 6.

(2) سورة الطلاق، الآية: 3.

(3) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (1/ 65).

- \* والعقل ليزداد إدراكاً «بالتفكير» الدائم الذي يدعو إليه كتاب الله .
- \* والحس ليزداد امتلاكاً بالتعامل مع الطبيعة والعالم وذلك الذي يدعو إليه كتاب الله .
- \* والوجدان ليزداد شفافية ورقة وصفاءً بالمعاناة الدائمة التي يدعو إليها كتاب الله<sup>(1)</sup> .
- \* وبالإرادة لتزداد قوة وشكيمة وعزيمة وتنمية، وذلك بأعمال يومية تشد منها لتكون رقيقة على العقل حارساً له، فكانت الإرادة عقلاً للعقل، وذلك يدعو إليه كتاب الله .
- \* وبالتأمل: لتزداد من الرؤية لبواطن الأمور والوصول إلى الحلول الصائبة، وتعمقاً وإصابة، ونفاذاً لمجاهيل الطبيعة وما وراء الطبيعة ويشحن الذهن ويصفّيه من الكدورات وذلك بمصفاة التأمل، وذلك يدعو إليه كتاب الله .
- \* فالتأمل، بوتقة تصهر فيها العواطف، والأفكار الناشئة لتخرج منها صافية، إنه مصنع تكتيل القوى الروحية .
- \* وبالتجارب: لتزداد في التعامل والاختلاط مع الناس والأشياء، فهي تنمي المواهب، وتمحو المعاييب، وتزيد البصر بصيرة وليس من جرب كمن لم يجرب وذلك يدعو إليه كتاب الله .



(1) حوار في المعمار الكوني، عماد الدين خليل، ص: 120، قطر.

### الجواب الصادق

قال أبو مسلم الداراني رحمته الله: قلت لأم هارون العابدة:  
أتحيين أن تموتي؟

قالت: لا.

قلت: ولم؟

قالت: والله لو عصيت مخلوقاً، لكرهت لقاءه، فكيف  
بالخالق جل جلاله؟

ورحم الله هذا الشاعر الفحل الذي ترجم هذا الجواب  
شعراً:

وكيف بلد العيش من هو عالم

بأن إله الخلق لا بد سائله

فيأخذ منه ظلمه لعباده

ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وكيف بلد العيش من كان صائراً

إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله

ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه

قريباً ويبلى جسمه ومفاصله

□□

### جواب الداهية

قال المنصور في مجلسه لقواده: صدق الأعرابي حيث

يقول: أجمع كلك يتبعك.

فقام أبو العباس الطوسي فقال: يا أمير المؤمنين، أخشى أن يُلَوِّحَ له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

رحم الله علماءنا، كانوا لا يفتأون يوجهون الحاكم والأمراء ولا يخافون في الله لومة لائم، ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح الرعية.

□□

### النية الصالحة

قال المأمون: «من لم يحمدك على حسن النية لم يشركك على جميل الفعال»، وأهمية قول المأمون تكمن في أنه يحيلك ابتداء على النية التي لا ينبغي إهمالها إذا أردت قياس الفعل في النهاية، فإن الفعل الخطأ تشفع له النية الصالحة حتى تشيك عن الملامة.

□□

### من الأجوبة المسكتة

شهد رجل عند سوار فقال له: ما صناعتك؟  
قال: أنا مؤدب.

قال: فإنا لا نجيز شهادتك.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً!

قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً.

قال: إني أكرهت على القضاء.  
قال: يا هذا، القضاء أكرهت عليه، فهل أكرهت على أخذ الرزق؟

قال: هلمّ شهادتك. فأجازها.

□□

### نصيحة للقضاة

روي أن امرأة تحاكت إلى شريح فبكت.  
فقال الشعبي: يا أبا أمية أما تراها تبكي؟  
فقال شريح: لقد جاء أخوة يوسف سيكون وهم ظلمة، لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلّا بالحق<sup>(1)</sup>.

□□

### صدق خاتم النبيين

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية:  
﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشُهُ مَوْجٌ﴾<sup>(2)</sup>.

فسأل: هل ركب محمد البحر؟

فقالوا: لا.

فقال: أشهد أنه رسول الله ﷺ.

قالوا: كيف عرفت؟

فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلّا مَنْ عاش عمره في البحار، ورأى الأهوال والأخطار، فلما أخبرت أنه لم

(1) صفة التفاسير، للصابوني (2/45).

(2) سورة النور، الآية: 40.

يركب البحر عرفت أنه كلام الله تعالى<sup>(1)</sup>.

□ □

### ينبوع الحضارات

هذه قصيدة قيمة لأستاذنا العلامة ابن العلامة عبد الله ابن مصطفى التقشندي، فيها يصور جمال العلم والمعرفة والإيمان تصويراً فذاً، يقول: أما العقد الأول منها فهو هذا الوصف الواثق الصادق تستزين به قصيدة حق في مسار العلم ومصائره بين الأمم والحضارات، نحبت ننشدها للقارئ على شفاه الحروف والكلمات، عساه يشتت من أنسامها وأنعامها روحاً ورُوحاً وبهجة ونشاطاً.

□ □

### فرعون

طفى فرعون عصر الذرة العاتي  
فقال ابنوا بأيدي المعلم آيات  
وصرحاً من صواريخ وآلات  
لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السموات  
بنى أبائنا الماضون أعواما  
فدعهم يفرحوا بالمعلم أياما  
فما انزاح النهى في الأرض ما قاما  
بنقل العلم أهل العصر من ماض إلى آتي

(1) صفوة التفسير (2/336).

فأما من طفى بالمعلم واستشرى  
 فريق لم يرد بالحكمة الخبيرا  
 و أوى الحرب أوى الفئنة الكبرى  
 فذاك الجهل لا العلم الذي شاد الحضارات  
 زيان المعلم أخلاق وإيمان  
 فقطع الصنوع عن صنويه عدوان  
 وصرح المقل أخذود وصون  
 متى ما استل من أحضان روضات جميلات  
 أفق يا أيها المستغرب الصادي  
 سراب جاهلي ذاك في وادي  
 يفاع الشرق فيه الكوثر الجادي  
 هلم أرجع على روح وريحان وجنات  
 فهذا المشرق المزدان بالنور  
 وحب في رحاب الله مبهور  
 لناج من شرى بالغرب محور  
 وراج طيبة البشرية وينبوع الحضارات<sup>(1)</sup>

□□

(1) الحرية الجامعية، قصص من واقع الحياة، د. عبد الله النقشبدي، ص: 290، ط 1، 1410 هـ. 1989 م طبع بمطابع التعليم العالي.